بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله المبدأ المتعال ، الحمد إلى من إليه المآل ، وأصلي وأسلم على خير خلقه وأطهر من وطأ الأرض سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فقد بدأت بالتعامل الجاد مع أوراق هذا المعجم - معجم الأدباء - وأنا في السنة التمهيدية للماجستير عندما طلبت مني أستاذتي الأستاذ الدكتور سعيدة رمضان - أعزها الله - أن يقوم كل طالب من طلاب تلك السنة بعمل دراسة عن كتاب من كتب التراث وكنت أعرف أهمية ذلك المعجم لذا اخترته وقمت بعمل بحث متواضع فيه ، ولكن ازداد حبي لهذا الكتاب الموسوعي الضخم ، فقرأت عن مؤلفه وتعرفت عليه ، فازداد تعلقي به وبعد انقضاء السنة التمهيدية للماجستير اطلعت على الدراسات والمقالات التي كتبت عن ذلك الكتاب ، فوجدت عددا لا بأس به من الدراسات والمقالات التي ما لبثت أن توطد العلاقة بيني وبين المؤلف وكتبه ، ولما وجدت أن أكثر كتب التراث قد قامت عليها دراسات عديدة ، قلت في نفسي فكتاب مثل معجم الأدباء أولى بأن تقوم عليه دراسات ودراسات وكيف لا وهو كتاب تكاد لا تخلو منه رسالة علمية ، كما أن أكثر كتب التراجم قد استفادت منه ونقلت عنه ، فابن خلكان قد نقل منه في " وفيات الأعيان " ، وكذلك الصفدي في " الوافي بالوفيات " ، والذهبي في كل كتبه التي في التراجم كـ " تاريخ الإسلام " و " العبر " و" سير أعلام النبلاء " ، وابن شاكر الكتبي في " فوات الوفيات " ، كما اعتمد عليه المحدثون في الحكم على بعض الرواة كابن حجر العسقلاني والذهبي وغيرهما ، وازدادت هذه

الرغبة عندما اطلعت على تحقيق دكتور إحسان عباس لهذا المعجم وقرأت دراسته الرائعة عن ياقوت ومؤلفاته وإن كانت غير كافية ، ذلك لأنها في مقدمة تحقيق وليست دراسة منفصلة ، وانبهرت لما وجدت أن الغرب قد أعاروا معجم البلدان اهتمامهم وتكلموا عنه وقالوا إنه من أفضل ما كتب في البلدان ، واعترفوا للحموي بأنه أديب ، ناقد ، متقص للحقائق ، يعي ما يكتب صادق في نقوله واستشهاداته ، واطلعت على رسالة الدكتوراة التي قام بها دكتور الديب عن ياقوت الحموي والتي بعنوان " ياقوت الحموي أديبا وناقدا " فوجدتها لم تقتصر على معجم الأدباء فقط ، بل تناولت الحديث عن معجم البلدان أيضا وحقيقة فقد قام صاحبها بعمل يعد من أفضل الأعمال التي تناولت كتب التراث بشمولية فقد استطاع صاحبها أن ييسر التعامل مع مؤلفي الحموي ، ويقف على مصادره ومنهجه ، بل استطاع أن يطرق بابا لم يطرقه أحد غيره وهو باب شعر ياقوت الحموي فالشكر كل الشكر لهذا الرجل الذي أفادني بعلمه الذي نهلت منه وكان بمثابة الروح لجسد هذا البحث العلمي ، ومن الطبيعي فيما يخص البحث العلمي أن نجد فيه بعض النقاط التي لم يوفق قائلها للصواب ، كما نجد بعض القصور في بعض النقاط ، فالدكتور الديب لم يتحدث باستفاضة عن مصادر ياقوت في معجمه ولا عن منهجه الذي سار عليه ، ولم يبحث عن الضائع من هذا المعجم ويثبته ، وكذا لم يتناول في دراسته شعر ياقوت كله حيث لم يكن مجموعا آنذاك فاجتهد دكتور ديب وجمع بعضا منه ، ووجدت بعض المآخذ التي أخذتها عليه ، واستكملت التحليل للمقطوعات التي وجدها دكتور إحسان في تحقيقه ولم تكن عند دكتور ديب ، وهذا لم يكن لقصور في هذا الرجل وإنما أرغم على ذلك لعدة أسباب :

(١) – أنه لم يتخصص في كتاب واحد من كتب ياقوت الحموي كما في هذا البحث

(٢) – لم تكن طبعة دكتور إحسان حققت بعد .

(٣) – هذا الرجل قد صنع شيئا من لا شيء ، فقد اعتمد على قريحته وعلى قدرته الكبيرة على النقد والتحليل ، فلم تكن هناك دراسات وافية عن هذا المعجم وقت قيامه ببحثه هذا .

(٤) – هناك مؤلفات لم تكن قد حققت بعد ، أو حققت لكن تحقيقها لم يكن وافيا ككتاب الوافي بالوفيات للصفدي ، وتاريخ دمشق لابن عساكر وغيرهما .

وسار بحثي – بعد المقدمة والتمهيد – في ثلاثة أبواب كل باب ينقسم إلى ثلاثة فصول ، ووضعت ملحقا للتراجم التي أثبت البحث أنها من أصل المعجم ، ولكنها سقطت وأخيرا ختمت البحث بخاتمة تناولت فيها أهم نتائج البحث ، ثم قائمة بالمراجع والمصادر التي اعتمد عليها البحث .

الباب الأول : العصر والمؤلف .

الفصل الأول : وجاء بعنوان : عصر ياقوت ، تحدثت فيه عن العصر الذي عاش فيه ياقوت ، أي من نهاية القرن السادس الهجري إلى الربع الأول من القرن السابع الهجري ، فالعصر بكل نواحيه وجوانبه يؤثر إما بالسلب أو بالإيجاب على الفرد العادي فما بالنا بالأديب .

الفصل الثاني : بعنوان حياته وشعره بدأته بالحديث عن كل من تسموا باسم ياقوت حتى لا نخلط بينهم وبين ياقوت صاحب المعجم ، ثم تناولت اسم ياقوت ونسبه وحياته ، ووجدت أنه رمي بالتعصب ضد علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ونفيت هذا التعصب ، وتناولت مولده ونفيت أيضا ما قاله دكتور إحسان عباس محقق المعجم من أنه هناك ثلاثة أشياء تقف في وجه هذا التاريخ موضحا أسبابي في ذلك الأمر ، ثم ذكرت

تاريخ وفاته والذي لم يختلف عليه اثنان ، وذكرت طبعات الكتاب ، ثم تناولت بالتحليل المقطعات الشعرية التي خلفها ياقوت .

الفصل الثالث : بعنوان " ثقافة ياقوت وشيوخه وآثاره" ، تناولت فيه ثقافة هذا الرجل ، ثم شيوخه ، وتناولت آثاره التي وصلت إلينا والتي ضاعت أيضا .

الباب الثاني

مصادر الكتاب ومنهجه :

الفصل الأول : بعنوان " مصادر ياقوت " ، وضحت في هذا الفصل معنى كلمة مصدر لغويا أي عند علماء اللغة ، والمقصود منها عند المترجمين ، وقسمت مصادره إلى سمعية ونقلية ورسائل .

الفصل الثاني : بعنوان " منهج ياقوت في كتابه " ، وضحت فيه معنى كلمة منهج وذكرت المنهج الذي انتهجه الحموي في كتابه من خلال مقدمته للكتاب ، فتناولت ترتيب تراجم الكتاب ، ثم منهجه في ذكر المواليد والوفيات ، ومنهجه في الاستشهاد بالأبيات الشعرية ، ومنهجه في الاختصار ، وتعليقه على ما ينقل من نصوص ، وتصحيحه لأخطاء المؤلفين قبله ، ومنهج ياقوت في شكه ، ووصفه للكتب التي رآها ، ووصفه للخطوط وإشارته إلى الأخبار والتراجم الأخرى في معجمه .

الفصل الثالث : بعنوان " بناء الترجمة عند ياقوت " ، تناولت فيه بناء الترجمة عند ياقوت ، ثم قمت بتحليل ترجمة أبي العلاء المعري .

الباب الثالث
الخصائص الفنية في الكتاب وقيمه النقدية والجمالية

الفصل الأول : الأسلوب تحدثت فيه عن أسلوب ياقوت في كتابه .

الفصل الثاني : الحس النقدي ، تكلمت فيه عن معنى النقد الأدبي ورأي القدماء والمحدثون في ياقوت من ناحية قدرته على النقد ، ثم ذكرت آراء الحموي النقدية التي وردت في معجم الأدباء ، وألقيت الضوء على بعض القضايا النقدية الهامة التي تناولها ياقوت الحموي .

الفصل الثالث : قيمته وتأثيره ، تناولت في هذا الفصل بعض المثالب التي وقع فيها الحموي ، من مخالفته لمنهجه في بعض الأحيان إلى عدم الدقة في أحيان أخرى ، وكذا مجانبته للصواب أحيانا .

ملحق : وضعت فيه ما وجدته من تراجم لم يقم دكتور إحسان محقق المعجم بوضعها بالرغم من تصريح الصفدي وابن حجر وغيرهما بالنقل عن ياقوت .

ووضعت مستدركا تناولت فيه المخطوط الذي وجدته لمعجم الأدباء ، ولاحظت وجود اختلافات بائنة بينه وبين المطبوع .

وتبعت ذلك بالخاتمة وتناولت فيها أهم نتائج البحث ، ثم أنهيت بحثي بقائمة المصادر والمراجع ، ثم فهرست بالموضوعات.

*****

تمهيد

التراث الأدبي العربي قد سبق التراث الأدبي العالمي بعدة قرون ، فالأدب العربي أصيل قديم ، وقد عنى القدماء بكتابة تراثهم ، بل الترجمة لسير أعلامهم ، وأعدوا لذلك العدة فسافروا لجمع المعلومات وتتلمذوا على أيدي شيوخ لهم باع هائل في شتى المجالات من أدب ولغة وفقه وشعر ، وغير ذلك من العلوم التي تساعدهم على حفظ تراثهم ونقله إلى الأجيال القادمة ، وذلك من خلال ما تركوه من موسوعات ضخمة ، وكما عنى القدماء بكتابة أدبهم وتراثهم في شتى المجالات ، عنى المحدثون بإقامة دراسات حول هذا التراث وتلك المصادر الأدبية ، فالمكتبة الأدبية العربية القديمة تضم الآلاف بل الملايين من الكتب في كل المجالات وشتى الاتجاهات والفنون .

وقد قامت دراسات عديدة على أكتاف تلك الكتب إما لنقدها ، أو لبيان فوائدها أو لتوضيح المنهج الذي سار عليه مؤلف الكتاب في كتابه ، وذكر مصادره التي اعتمد عليها وأكتفي بذكر الأعلام الذين كتبوا في هذا المجال ، فمن أولئك : الدكتور الطاهر أحمد مكي حيث ألف كتابه " دراسة في مصادر الأدب "(١) وتناول فيه عدة مؤلفات " كطبقات فحول الشعراء " لابن سلام الجمحي ، و" البيان والتبيين " للجاحظ ، و" الشعر والشعراء " لابن قتيبة ، و" الأغاني " لأبي الفرج الأصبهاني وغيرها كثير ، وفي مجال الشعر الجاهلي ومصادره نجد كتاب : " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية "(٢) ، ومن المحدثين من تخصص في دراسة كتب المعاجم فقط ككتاب " المعاجم العربية دراسة تحليلية "(٣) .

---

(١) " دراسة في مصادر الأدب العربي " دكتور : الطاهر أحمد مكي ، الطبعة السادسة ، دار المعارف ١٩٨٦م .
(٢) " مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية " ، دكتور ناصر الدين الأسد ، طبعة دار المعارف – القاهرة ١٩٥٦م
(٣) المعاجم العربية دراسة تحليلية " ، دكتور عبد السميع محمد أحمد ، مطبعة مخيمر الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م .

وكتاب : " مصادر المكتبة العربية في الأدب واللغة والمعاجم والتراجم "[١] في جزأين ، وقد تناول كتابنا الذي هو موضوع البحث - معجم الأدباء - من ضمن الكتب التي درسها دكتور العمد ، كما قامت عالم الفكر بإصدار عددين تحت مسمى " قراءات جديدة في كتابات قديمة "[٢] تناولت فيها عددا من كتب التراث ، ككتاب " الإلمام " للإمام النويري و" الفرج بعد الشدة " للقاضي التنوخي ، كما تناولت أحد مؤلفات ياقوت ، وهو كتابه الذي أبدع فيه " معجم البلدان " .

هذا بخلاف ما قام به المحققون ، فمنهم من بدأ تحقيقه بعمل ترجمة وافية لمؤلف الكتاب وتبع ذلك بعمل دراسة جيدة على الكتاب ، من أولئك الدكتور إحسان عباس وأحمد محمد شاكر وأخوه محمود محمد شاكر .

ومنهم من درس كتابا بعينه ولم يتناول كتبا أخرى معه ، وهذا يشبه إلى حد كبير بحثي هذا ، منهم دكتور السيد فضل حيث قام بدراسة كتاب " الوساطة للقاضي الجرجاني "[٣] ، ومحمد بن سعيد في كتابه " دراسة لوفيات الأعيان لابن خلكان "[٤] .

فدراسة المصادر الأدبية إذن شيء مهم لما يضيفه من ثقل لتلك المصادر ولما تقوم به الدراسة من تيسير للقارئ فيسهل عليه التعامل مع هذا المصدر ، ويستطيع التواصل مع منهج الكتاب وأسلوب مؤلفه ، كما أن من الفوائد البالغة الأثر لتلك الدراسات أنها تلقي الضوء على بعض الأخطاء الموجودة ، وتشير إلى المصادر التي اعتمد عليها المؤلف ، كل هذا يصل بنا إلى الاستفادة الشاملة من هذا المصدر .

---

(١) "مصادر المكتبة العربية في الأدب واللغة والتراجم"، دكتور هاني العمد، الجزء الثاني، عمان – الأردن ١٩٩٩م .
(٢) سلسلة عالم الفكر " قراءات جديدة في كتابات قديمة " ، المجلد الرابع عشر في جزأين ، سنة ١٩٨٣م .
(٣) تراثنا النقدي " دراسة في كتاب الوساطة للقاضي الجرجاني " ، دكتور السيد فضل ، الناشر منشأة المعارف بالأسكندرية ، د . ت .
(٤)" دراسة لوفيات الأعيان لابن خلكان" : محمد بن سعيد، ديوان المطبوعات الجامعية وهران – الجزائر ، د – ت .

" فالمكتبة العربية هي الذاكرة التي لا تبلى ولا يصيبها الوهن ؛ لأنها قادرة على أن تتجدد بذاتها وتتجدد بغيرها ، عندما ترفدها الأجيال بالمفيد النافع والقادر على الاستمرار "(١).

وهذه الدراسات حول تلك المؤلفات هي التي تفتح آفاقا جديدة ، وتأصل وتربط بين الجذور والأوراق ، وتصل بنا إلى التحليق في آفاق علمنا القديم وتراثنا العربي الأصيل ونستطيع أن نطلق عليها حلقة الوصل بين كل ما هو قديم وبين ما استحدثناه ، ومن الممكن أن نسميها الباحث عن الجديد في كل ما هو قديم .

" والأمة العربية في حركة ناهضة منذ ما يقرب من قرن ونصف قرن . وقد اقترنت هذه الحركة منذ بواكيرها بالبحث عن الأصول ، واستحياء أروع ما خلفته لها الأيام من تراثها الفكري والأدبي ، ومع تفتح هذا الوعي اتجهت العناية بالتراث اتجاهين يكمل أحدهما الآخر : اتجاها ينصرف إلى كنوز المخطوطات القديمة ، يحققها تحقيقا علميا ويوثق مادتها ، ويطبعها طبعات دقيقة فييسر بذلك تداولها بين الناس والمشتغلين منهم بالحضارة الإسلامية بخاصة ، واتجاها آخر ينصرف إلى دراسة هذه المادة المتاحة واستنباط المضامين الفكرية والروحية والإنسانية بعامة ، والتي تمثل جوهر التراث " .(٢)

لقد عنى المسلمون بشتى العلوم ومختلف أرجاء لغتنا العربية وفنونها وخصوا الكتاب والسنة باهتمام أكثر من غيرهما ، واهتموا بعلوم الحديث ووضعوا قواعد تضمن سلامة صحته وأدائه ، واهتموا برواة الحديث وعلله وغريبه إلى غير ذلك من أوجه الاهتمام ثم اهتموا برجال الحديث وترجموا لهم ، وحرصوا على التحري عنهم والتثبت منهم وكانت

---

(١) " مصادر المكتبة العربية في اللغة والأدب والمعاجم والتراجم " ، دكتور هاني العمد ، آخر صفحة في الجزء الثاني وهي دون ترقيم .

(٢) " المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي " ، دكتور عز الدين إسماعيل : ٨ ، ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ١٩٧٦م .

هذه بداية الترجمة حتى بدأ العلماء في وضع المؤلفات المستقلة والتي تعني بضبط الوفيات ومن ثم أصبح لدينا موسوعات كثيرة تتناول الأدباء والشعراء والأعيان وغيرهم ، وكان ذلك في أواخر القرن الثالث " وأول من صنف في ذلك أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي المتوفى سنة ٣٥١ هـ ابتدأه من الهجرة وانتهى به إلى سنة ٣٤٦ هـ "(١).

وجاء بعده الحافظ أبو سليمان محمد بن أحمد بن زبر الربعي الدمشقي المتوفى سنة ٣٧٩هـ وذلك في كتاب " تاريخ مولد العلماء ووفياتهم " وابتدأه من هجرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وانتهى به إلى سبع وخمسين وثلاثمائة ، ثم جاء ذيل هذا الكتاب الذي ألفه أبي محمد بن أحمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني(٢) وجاء من بعدهم ابن النديم في كتابه " الفهرست " .

لكن ياقوتا قد ألقى الضوء في كتابه " معجم الأدباء " على بدايات الترجمة للأدباء يقول : " فما وجدت في ذلك تصنيفا شافيا ، ولا تأليفا كافيا ؛ مع أن جماعة من العلماء والأئمة القدماء ، أعطوا نصيبا من عنايتهم وافرا ، فلم يكن عن صبح الكفاية سافرا ، كأبي محمد بن عبد الملك التاريخي ، وأرى أنه أول من أعارهم طرفه ، وسود في تبييض أخبارهم صحفه ، لأنه قال في مقدمة كتابه : " وقد اجتهد أبو العباس محمد بن مبرد الأزدي وأبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني في مثل ما أودعناه كتابنا من أخبار النحويين فما وقعا ولا طارا " ، وهذا مع أن كتابه صغير الحجم قليل الترجم محشو بالنوادر التي رووها ، لا يختص بأخبارهم أنفسهم "(٣).

---

(١) " تاريخ مولد العلماء ووفياتهم " لأبي سليمان بن زبر الربعي الدمشقي : ٣٤ ، في مقدمة التحقيق ، تحقيق دكتور عبد الله بن أحمد بن سليمان ، طبعة دار العاصمة – الرياض النشرة الأولى ١٤١٠ هـ .
(٢) انظر المصدر السابق في مقدمة التحقيق .
(٣) " معجم الأدباء " : ١ / ٥ – ٦ .

هذا ما ذكره ياقوت فيما يخص بدايات الترجمة للأدباء ، فأول من قام بذلك هو التاريخي[1] هذا ، وفي الحقيقة لم أقف على تاريخ ميلاده أو وفاته مع أن ترجمته في تاريخ بغداد وفي الوافي إلا أنني لم أجد ما يدل على الفترة التي عاش فيها ، إلا أنه قد أخذ عن المبرد والمبرد مات في سنة ٢٨٦هـ إذن فقد عاش التاريخي في القرن الثالث الهجري أي إنه أقرب من أبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق البغدادي الذي ذكره محقق كتاب " تاريخ مولد العلماء ووفياتهم " الذي عاش في القرن الرابع ، كما أني أرجح قول ياقوت لأسباب منها : أنه أقرب إلى تلك العصور من غيره ، كما أن ياقوتا تميز بالمثابرة على البحث والقراءة ، هذا بخلاف عمله بالنسخ وتجواله في كل أقطار الأرض ورؤيته للآلاف من الكتب كما أنه كان شغوفا بعلم الترجمة ، كل هذه الأسباب ترجح قوله عن غيره .

وتراجم الشعراء أقدم من تراجم الأدباء ، فها هو ابن سلام الجمحي المتوفى ٢٣٣هـ قد وضع كتابا في الشعراء سماه " طبقات فحول الشعراء " وقد جمع هذا الكتاب بين ثلاث ركائز هامة وهي : الزمان والمكان والمستوى العالي المرموق ، أي إن كتابه وصل إلى درجة الاحترُف في هذا الفن – فن الترجمة – .

وقبل ذلك لم يعن المسلمون بحفظ ما يتعلق بأخبار علمائهم فضاع منها الكثير والكثير ، من ذلك ضياع أخبار التاريخي الذي ذكرته آنفا فلم يكتب عنه البغدادي أو الصفدي إلا أخبارا يسيرة جدا ، وغيره كثير ، وليس هذا مجال ذكر ذلك .

يقول الإمام الذهبي – رحمه الله – : " إنه لم يعن القدماء بضبطها كما ينبغي ، بل اتكلوا على حفظهم فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب

---

(١) ترجمته في : " الوافي بالوفيات " الصفدي : ٤ / ٣٥ ، ترجمة رقم : ١٥٠٥ ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى ، ط : دار إحياء التراث بيروت – لبنان ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، " تاريخ بغداد " : ٢ / ٣٤٨ ، نشر : دار الكتاب العربي – بيروت .

زمان الشافعي ، ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم حتى ضبطوا جماعة فيهم جهالة بالنسبة لمعرفتنا لهم ، فلذا حفظت وفيات خلق من المجهولين وجهلت وفيات أئمة من المعروفين "(١) .

إن كلام الذهبي يؤكد على أن بدايات علم الترجمة بدأ في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ، فقول الذهبي " إلى قريب زمان الشافعي" يؤكد صحة كلام ياقوت حيث توفي الإمام الشافعي سنة ٢٠٤ هـ .

وبعد معرفة المسلمين لأهمية ذكر الأنساب والأعراق اهتموا بعمل موسوعات في ذلك فوجدنا كتبا كثيرة في الأنساب والتراجم ، ككتابي " المعارف " و " الشعر والشعراء " لابن قتيبة ، والفهرست لابن النديم ، و" معجم الشعراء " للمرزباني ، وكتاب " الأنساب " للسمعاني وغيرهم .

وانقسم مجال الترجمة إلى عدة اتجاهات ، فمنهم من وضع كتابه على حسب السنين كابن الأثير في " الكامل " والذهبي في " السير " وابن تغري بردي في " النجوم الزاهرة " ومنهم من وضعه حسب القرون كابن حجر العسقلاني في كتابه " الدرر الكامنة " فوضعه في القرن التاسع الهجري ، ومنهم من وضعه حسب الطبقات كابن سلام في كتابه " طبقات فحول الشعراء " ، ومنهم من وضعه حسب المدن كابن عساكر في " تاريخ دمشق " والخطيب في " تاريخ بغداد " ، والإربلي في " تاريخ إربل ، والطبيب أبي حفص في " تاريخ دنيسر " ، وأبي بكر النرشخي في " تاريخ بخارى " ، وهناك من قيدها بالمتعاصرين كالثعالبي في " يتيمة الدهر " ، وهناك من أطلق لنفسه العنان فلم يتقيد ببلد معين ولا

(١) " تاريخ الإسلام " للذهبي :١ / ١٥ ، ط : دار الجيل الطبعة الثالثة ، تحقيق دكتور : حسن إبراهيم حسن ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، " المصدر نفسه " : ١ / ٢٦ ، تحقيق : دكتور : عمر عبد السلام تدمري ، الناشر دار الكتاب العربي، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

بطبقة معينة ولا قرن معين ولا سنة معينة بل كتب عن كل ما وصل إليه من تراجم منهم صاحبنا ياقوت في كتابه " معجم الأدباء " وإن كان قد تخصص في الأدباء فقط ، أما من أطلق العنان أكثر فلم يقيد نفسه حتى بالتخصص في فئة معينة - كما فعل ياقوت - ابن خلكان في " وفيات الأعيان " والصفدي في " الوافي بالوفيات " ، والكتبي في " فوات الوفيات "

وهناك من ألف في السير المفردة وهذا النوع من الترجمة نشأ أولا في بلاد فارس ثم انتقل إلى العرب ، يقول كارل بروكلمان : " إذا كانت بدايات التأريخ العربي قد استثارتها الحوليات المكتوبة بالفارسية الوسطى فإن الروح الإيرانية أمكنها ثانية أن تؤثر تأثيرا قاطعا في فرع من أهم فروعه ، ففي دواوين الدول التي قامت على أرض الخلافة المتداعية كان الكتاب قد أنشؤوا ، على مثال البلاغة الإيرانية ، أسلوبا لكتابات الدول يتسم بالفخامة ويزدان بالسجع والعبارات الغريبة . فاصطنعوا ثانية هذا الأسلوب في السير التي صنفوها لتمجيد أمرائهم . وهذه السير على الرغم من وجوب استعمالها بحيطة وحذر ، تتيح لنا في كثير من الأحيان أن ندرك الأحوال الداخلية لتلك الدول إدراكا أعمق مما تتيحه لنا كتب التاريخ الشاملة "(١)

وأول كتاب وضع في هذا المجال نشأ في إيران صنفه صاحبه وهو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي في سيرة السلطان التركي محمود الغزنوي ، ثم وضع العرب في هذا المجال مؤلفاتهم ، فوضعوا الكتب في فضائل الشافعي ، حيث وضع أبو القاسم عبد المحسن بن عثمان بن غانم كتابا سماه " الواضح النفيس في فضائل محمد بن إدريس " ، وله كتاب

(١) " تاريخ الأدب العربي " كارل بروكلمان : ٦ / ١ ، نقله إلى العربية دكتور عبد الحليم النجار ، طبعة دار المعارف الطبعة الخامسة .

أيضا في فضائل الإمام مالك[1]، ووضع أبو حفص عمر بن أحمد كتابا في فضائل فاطمة[2].

هذا بخلاف كتب السير ككتاب " السيرة النبوية " لابن هشام .

ثم ظهر نوع آخر بني على أكتاف تلك المؤلفات وهو الكتب الموصولة ؛ يعني تلك الكتب التي وضعها صاحبها ليكمل ما وضعه غيره ، منها كتاب " ذيل تاريخ بغداد " لابن النجار ، و" التكملة لوفيات النقلة " ، و" تتمة اليتيمة " ، و" التكملة لكتاب الصلة " وغيرها كثير .

إذن فنحن لدينا عدة أشكال لكتب التراجم :

(١) كتب التراجم العامة .

(٢) كتب تراجم التخصص .

(٣) كتب تراجم السنين .

(٤) كتب تراجم المدن .

(٥) كتب تراجم القرون .

(٦) كتب تراجم الطبقات .

(٧) كتب تراجم المتعاصرين .

(٨) كتب التراجم الموصولة .

(٩) كتب السير المفردة .

---

(١) انظر " تاريخ الأدب العربي " : ١ – ٥ .

(٢) " فضائل فاطمة " لأبي حفص عمر بن أحمد بن شاهين ، تحقيق : أبي إسحاق الحويني ، الناشر : مكتبة التربية الإسلامية ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

ومعجمنا موضوع البحث من كتب تراجم التخصص ، وقد يتعجب البعض من إطلاق لفظ معجم على هذا المؤلف أو يجد في ذلك غرابة ، وذلك لأن كلمة معجم معناها إزالة إبهام الحروف بوضع نقاط إما من أسفل كالجيم والياء أو من أعلى كالذال والزي والخاء ، أما قولنا " حروف المعجم " فهو من باب إضافة المفعول إلى المصدر لأن كل الحروف ليست معجمة كالحاء مثلا ، ولكن أضافوها إلى المعجم لأنك إذا وضعت على الخاء نقطة من أعلى وعلى الجيم نقطة من أسفل وتركت الحاء بلا نقط فقد أزلت إبهامها ، وتركها بدون إعجام يعلم بأن هذا المتروك بغير إعجام هو غير ذلك الذي من عادته أن يعجم ؛ المهم أنك أزلت إبهام الحرف .

أما عن استعمال المعجم عنوانا لكتاب يورد أسماء الأشخاص " فذلك لطول الاعتياد على استعمال الكلمة مع الكتب التي تحشد الثروة اللغوية من الكلمات ولكن واقع الأمر أن الكلمة كانت مستعملة بكثرة في عناوين الكتب التي تحوي أسماء الأشخاص ، وقد ذكر دكتور حسين نصار عددا من هذه الكتب لمؤلفين عاشوا في القرن الرابع الهجري منها " معجم الشيوخ " لأبي الحسين عبد الباقي بن قانع البغدادي (ت ٣٥١ هـ) ، و"معجم الشيوخ " لعمر بن عثمان البغدادي (ت ٣٨٥ هـ) "[(١)] .

وهناك مترادفات لكلمة " معجم " أطلقت أيضا على المؤلفات التي تحتوي على تراجم الأعلام وهي :

الفهرست : والفهرس قد يضعه المؤلف في أول الكتاب أو في آخره واصفا فيه إما موضوعات الكتاب وفصوله ومباحثه والأعلام المترجم لهم فيه وأسماء الأماكن وغير ذلك من الأشياء التي يجد صاحب الكتاب أنها قد تسهل على متصفح كتابه ، وهناك من أطلق

(١) " معجم الشعراء " للمرزباني : ٧ في مقدمة أ . دكتور محمود علي مكي لهذه الطبعة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، طبعة : الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٣م .

كلمه " الفهرست " على مؤلفه الذي سرد فيه تراجم وسير العلماء المشهورين ومن أولئك النفر " ابن النديم " في كتابه " الفهرست " ، وكذا الكتاني في كتابه " فهرس الفهارس والأثبات ".

البرنامج : وهو يطلق على المؤلفات التي تضم أسماء كتب أو أجزاء أو تراجم أو تتضمن أسماء التراجم الموجودة في إحدى الكتب ومثال ذلك " برنامج ابن جابر الوادي آش " .

المشيخة : تضم المؤلفات التي يطلق عليها كلمة " مشيخة " بين جنباتها ذكرا لشيوخ المؤلف أو الذين أخذ عنهم كـ " مشيخة البخاري " .

السير : وتطلق على المؤلفات التي تضمنت سير العلماء وترجمت لهم كـ " سير أعلام النبلاء " للذهبي ، و" سير السلف الصالح"

السند : يطلق على المؤلفات الجامعة للشيوخ والكتب التي يكون سندها متصلا مثل " سند زكريا الأنصاري " ، و" سند البيجرمي " ، ولها مسمى آخر وهو المسند كـ " مسند عائشة " و " مسند فاطمة " و " مسند الإمام أحمد " .

الثبت : وهي كسابقيها تتضمن أسماء للأعلام والمشايخ كـ " ثبت الجوهري " و " ثبت ابن العناني " .

الطبقات : وهي التي رتبت تراجمها حسب الطبقات كـ " الطبقات الكبرى " لابن سعد ، و " طبقات الشافعية الكبرى " للسبكي ، و" طبقات الحنابلة " لأبي الفرج البغدادي الحنبلي .